



صفات لغة العربية : مشكلة اللغوية وكلماتها

Mohammad Kholison

Universitas Ibrahimy Sukorejo Situbondo

(lisanarabi.13@gmail.com)

The researchers used the ancient and modern characteristics of the Arabic language, some considered that the features characterized by the Arabic language than other languages. And some considered them as features and descriptions dominated the Arabic language more than dominated the other languages. Some considered it to be an Arabic feature in which other languages shared the same degree. The Arabic language was distinguished by its unique features and characteristics from other languages in the historical, religious and cultural aspects, as well as the linguistic aspects of the voices and disposition, and the meaning and eloquence. It is described in the descriptions and attributes that I have overcome and known, although these features or some of them in other languages to varying degrees, and this is what I mean in this article, as it is very rare that a language has many characteristics that do not exist in a language.

Keywords: characteristics الصفات , problem المشكلات , sentences الكلمات

مقدمة

فهذه مقالة أوردت فيها مجموعة من بعض خصائص الكلمة العربية ومشكلة العربية منقولة من كتب اللغة العربية المعتبرة مثل "الخصائص" لابن جني و"مشكلات اللغة العربية" لمحمود تيمور و"المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للسيوطي و"فقه اللغة وخصائص العربية" لمحمد المبارك وغيرها.

إن لكل لغة من اللغات الإنسانية خصائص تمتاز بها عن غيرها. وإن بين كل لغة وأصحابها تشابها وتوافقا، فقد نشأت معهم وتقلبت معهم على مر الأيام واختلاف صروفها وانعكس على مفرداتها وتراكيبها صورة مفاهيمهم وتصوراتهم وانبسظت مفرداتها على مدى الأفق الذي انبسظت فيه تلك الأمة ضيقا واتساعا حتى تكاد تعرف طبائع الأمة وخصالها في لحن كلامها ونبرات ألفاظها وجرس حديثها.^١

لا خفاء أن اللغة العربية أمتن تركيبا وأوضح بيانا وأعذب مذاقا عند أهلها. قال ابن خلدون: "وكانت المملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحق الملكات وأوضحها بيانا عن المقاصد". وقد رآها ابن فارس أنها أفضل اللغات وأوسعها، إذ يكفي ذلك دليلا أن رب العالمين اختارها لأشرف رسله وخاتم رسالاته، فأنزل بها كتابه المبين. ولذلك لا يقدر أحد من التراجم أن ينقل القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشة والرومية، وترجمت التوراة والزيور وسائر كتب الله عز وجل بالعربية. والسبب في ذلك يعود إلى أن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب.^٢

وذكر السيوطي أن اللغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، ويورد مزايا يراها دليلا على أفضليتها، منها:

١. كثرة المفردات والاتساع في الاستعارة والتمثيل.
٢. التعويض، وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة، كإقامة المصدر مقام الأمر نحو "صبراً آل ياسرٍ فإن موعدكم الجنة"، والفاعل مقام المصدر نحو "لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ"^٣ أي تكذيب، والمفعول مقام المصدر نحو بَأْيُكُمُ الْمُفْتُونُ"^٤ أي الفتنة، والمفعول مقام الفاعل نحو "حِجَابًا مَسْتُورًا"^٥ أي ساترا.
٣. فك الإدغام، وتخفيف الكلمة بالحذف، نحو "لم يكُ....".
٤. تركبهم الجمع بين الساكنين، وقد يجتمع في لغة العجم ثلاثة سواكن.

^١ محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، (بيروت، دار الفكر، بلا تاريخ)، ٢٤٦.

^٢ نايف محمود معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها، (لبنان، دار النفائس، ١٩٩١/٤)، ٣٨.

^٣ القرآن، ٢/٥٦.

^٤ القرآن، ٦/٦٨.

^٥ القرآن، ٤٥/١٧.

٥. وللعرب ما ليس لغيرهم، فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني، يقولون: "مفتح (بكسر الميم) للآلة التي يفتح بها، ومفتح (بفتح الميم) لموضع الفتح".^٦

وقال ابن جني عن بعض خصائص اللغة العربية دلالة بعض الحروف على المعاني: "وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيهه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقا للحروف على سَمَت المعنى المقصود، والغرض المطلوب".^٧ فحرف (التاء) إذا جاء ثاني الكلمة دل على القطع: بتّ الحبل، بتر العضو. وحرف (الغين) في أول الكلمة يدل على الاستتار والظلمة والخفاء: غابت الشمس، غاص الماء، غطس السباح الخ. وحرف (النون) في أول الكلمة يدل على الظهور والبروز: نفث، نفخ، نبت الخ.^٨

ولاحظ العلماء نموّ اللغة العربية بأساليب مختلفة، منها:

١. اكتساب كثير من مفرداتها معاني جديدة، أضيفت إلى معانيها التي كانت في أصل الوضع. فكللمات مثل: النفس، الروح، العقل، المجد، الصلاة، الصوم، الزكاة، القراءة، الكتابة الخ لم تكن تعني في العصر الجاهلي ما أصبحت تعنيه في العصر الإسلامي.

٢. التوليد الذاتي، وقد تحدث عنه القدماء بتحفظ وحذر، وقالوا عنه: "ما أحدثه المؤلّدون الذين لا يحتج بألفاظهم". والتوليد في نظر المحدثين: "هو لفظ عربي البناء أعطي في اللغة الحديثة معنى مختلفا عما كان العرب يعرفونه" حيث فرضت المدنية الحديثة معاني جديدة على كثير من الألفاظ كالسيارة والطيارة والهاتف والمذياع والحضارة وعلم الاقتصاد الخ. ولم يكن التوليد بالوضع اللفظي فحسب، بل بالوضع المجازي: كالقوة الضاربة والسوق السوداء وناطحات السحاب وغيرها كثير.^٩

بعد أن نظر الباحث الى البيان السابق فيقول: أن اللغة العربية أمتن تركيبا وأوضح بيانا وأعذب مذاقا عند أهلها، وأنها أفضل اللغات وأوسعها إذ يكفي ذلك دليلا أن رب العالمين اختارها لأشرف رسله وخاتم رسالاته، فأنزل بها كتابه المبين. وأن مزاياها هي كثرة المفردات

^٦ السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، (القاهرة: البابي الحلبي، بلا تاريخ)، ٣٢١/١.

^٧ ابن جني، الخصائص، (القاهرة: دار الكتب المصرية، بلا تاريخ)، ١٦٢/٢. سَمَت: هيئة.

^٨ تاييف محمود معروف، المرجع السابق، ٤٠.

^٩ نفس المرجع، ٤٢-٤٣.

والاتساع في الستعارة والتمثيل، والتعويض -وهو إقامة الكلمة مقام الكلمة كإقامة المصدر مقام الأمر والفاعل مقام المصدر والمفعول مقام المصدر والمفعول مقام الفاعل-، وفك الإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف، وتركهم الجمع بين الساكنين وقد يجتمع في لغة العجم ثلاثة سواكن، وإن للعرب ما ليس لغيرهم فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني.

مشكلة اللغوية

إن أكبر المشكلات المثارة في العالم العربي والتي تعود إليها سائر المشكلات في ميدان اللغة هي مشكلة نهوض اللغة العربية وقدرتها على الوفاء بحاجات أهلها في هذه الحياة الجديدة سواء في ميدان العلوم أو الفنون أو الأدب بأغراضه وآفاقه الحديثة أو في ميدان الحياة العملية بما فيها من مستحدثات لا ينقطع سيلها. وإن البحث في هذه المشكلة وتقديم الأجوبة السديدة والحلول الصحيحة فيها وفيما يتفرع عنها يقتضي العودة إلى جذور هذه القضية. ولابد من بناء ذلك على معرفة عميقة شاملة للغة العربية وخصائصها الأصيلة، لا على معرفة مسائل منثورة ومعارف متفرقة في النحو والصرف واللغة، ولا على مناقشة جزئيات القضية وعرض أمثلة محدودة في هذا الموضوع. فإن تقديم صورة كاملة ومخطط شامل للغة العربية هو الخطوة الأولى نحو الحكم الصحيح في أساس المشكلة وجوهر القضية.^{١٠}

الوعي اللغوي بين الجمود والانحراف والأصالة والحياة

إن الأمة العربية أخذت في النهوض في جميع الميادين بعد كبوة واستيقظت بعد إغفاء وطفقت تتحرر من قيود كُبلت بها فرانت على عقلولها ونفوسها واتجهت اليوم وهي في أواخر مرحلة التحرر نحو البناء ولقيت في طريق نهضتها وتحررها مشكلات في جميع نواحي حياتها المادية والمعنوية لابد أن تحلها فكانت ثلاثم بين الموروث من حياتها والجديد من ظروفها ملائمة لا تتم دوما كما يجب أن تتم فتقع بين إفراط وتفريط وغلو وتقصير ومحافظة متزمنة وانطلاق فوضوي، ثم ترد ما بين هذه السبل الجائرة إلى الطريق القصد والجادة السوية فتصحح المسير وتقيم العوج وتسدد الاتجاه نحو الهدف الأمثل والنهج الأقوم وذلك كلما تم

^{١٠} محمد المبارك، المرجع السابق، ٢٤٦.

الوعي الذاتي وتكامل واستنار.

إن ما حدث في سائر ميادين الحياة حدث مثله في ميدان اللغة فقد سارت النهضة اللغوية مع سائر نواحي النهضة في خطوط متوازية ومراحل متشابهة وصادفت في طريقها كذلك المشكلات نفسها. ونحن في موضوع اللغة اليوم كذلك في أعقاب مرحلة التحرر وفي بداية مرحلة البناء الجديد وهي من أدق المراحل وأحوجها إلى اكتمال الوعي ونضجه.

ونعتقد أن هذا هو أول الطريق لمعرفة لغتنا معرفة عميقة والإنطلاق بعد ذلك إلى حل المشكلات الكبيرة منها والصغيرة، وأنه كذلك السبيل لتكوين وعي لغوي صحيح يساير وعينا السياسي والفكري بل هو الأساس لتكوين تفكيرنا تكوينا صحيحا سليما والأخذ بأيدينا نحو الوحدة اللغوية والتحرر اللغوي والقضاء على التجزئة والشعبوية أو النفوذ الأجنبي في ميدان اللغة والفكر.^{١١}

مراحل الوعي اللغوي:

١. إننا في ميدان اللغة وكذلك في سائر الميادين في مرحلة التحرر من آثار عصور الانحطاط من جهة ومن التقليد الأجنبي والعجمة الجديدة التي أورثنا إياها عصر الاستعمار والنفوذ الأجنبي من جهة أخرى.

٢. وقد انتهت عصور الانحطاط إلى الالتقاء أو الاصطدام بالحضارة الأوروبية وانفتحت أمام العرب وأمم الشرق آفاق جديدة وظهرت لأعينهم ألوان من الحياة جديدة وكانت نتيجة ذلك ضروب من التفاعل وأنواع من المواقف والمشكلات والأزمات ومن جملتها مشكلة اللغة.^{١٢}

بعد أن نظر الباحث إلى البيان السابق فيقول: ان هذا الوعي اللغوي لابد من إنضاجه وتقويته ليشهد ويستحكم ويكمل، وليكون أوسع أفقا وأشمل لعدد أكبر من الناس، وليكون أرسخ وأعمق في النفوس ولابد لهذا من أمرين: الأول فهم خصائص العربية ليكون السير في طريق التجديد والتوليد على أساس صحيح من هذه الخصائص وعلى السنن القويم لهذه

^{١١} نفس المرجع، ٢٢٩.

^{١٢} نفس المرجع، ٢٣٣-٢٣٥.

اللغة، ويكون هذا الفهم أعمق وأعلق إذا عرفنا أن بين خصائص اللغة العربية وخصائص العرب أنفسهم صلة ونسباً. الثاني الإسراع في تطهير العربية من بقايا الضعف أو العجمة الناشئة عن عصور الإنحطاط أو عن التأثير الأجنبي الواقع في عصر الإستعمار.

خصائص الكلمة العربية

الخاصة الاشتقاقية أو خصائص التركيب العضوي

إن الكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات بل مجتمعات مشتركات كما يعيش العرب في أسروقبائل. وإذا كان بين أفراد القبيلة الواحدة عند العرب روابط مشتركة تربطها وتصل بينها، ونسب محفوظ تلتقي عنده، ومعان يجتمعون عليها، ومكارم يتوارثونها، فإن بين مفردات لغتهم من الاشتراك كذلك ما بين أفرادهم.

إن لكل كلمة جسماً وروحاً، فجسمها هو المادة الصوتية التي تتألف منها والشكل الذي تجعل فيه تلك المادة أو البناء الذي تبني عليه، وروحها هو معناها وما تفيده وتدل عليه مادتها.

ولكل كلمة مفردات من نوعها ومثيلات من نسبها تلتقي معها في مادتها ومعناها، فكلمة (قطع) مثلاً مع تصاريفها الفعلية ومشتقاتها الاسمية هي والأفعال المشتقة منها (أقطع وقطع وقاطع وتقطع وتقاطع وانقطع واقتطع واستقطع)، وتصاريفها ومشتقاتها ومصادرها ومصغرات أسمائها وغيرها تزيد على مائة وخمسين كلمة. ولو أخذنا كلمة علم ونفع وغاب أو أي أصل من الأصول لوجدنا أنه يندرج تحته عدد كبير من الكلمات تتفاوت قلة وكثرة. فما هو الجامع بين مفردات كل مجموعة من مجموعات الألفاظ، وما الرابط بينها إن كان ثمة جامع أو رابط؟^{١٣}

إن مفردات اللغة العربية تتكون من مجموعات كثيرة، وكل مجموعة منها ترجع إلى أصل واحد وتتشترك في جزء من مادتها وجزء من معناها.

١. إنها تشترك في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها، وهي الحروف أو الأصوات الأصلية التي تحافظ عليها ولا تغيرها، وهذه الحروف الثابتة في تركيبها والثابتة في ذاتها صوتياً

^{١٣} محمد المبارك، المرجع السابق، ٢٦٤-٢٦٥.

لعدم تبدل الأصوات في العربية كما قدمنا تكون عنوان نسبها ودليل ارتباطها بأصلها واشتراكها مع أخواتها وأبناء عشيرتها. إنها كالملاح المشتركة بين أفراد القبيلة والسمات المتشابهة التي كان يعرفها القائف ويستدل منها على وحدة النسب. إن الرابطة الاشتقاقية في ألفاظ العربية كالرابطة النسبية في أفراد العرب، وكما حافظ العرب على أنسابهم وعرفوا بها حافظت مفردات لغتهم كذلك على نسبها ودلت عليه.

ولذلك لم تضع الرابطة الاشتقاقية بين ألفاظ العربية على اختلاف عصورها وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيئاتها ومساكنها، فكلمة (طائرة) و(سيارة) و(هاتف) و(اشتراكية) ولدت في هذا العصر، ومع ذلك فإن كل عربي يعلم أنها من نسب واحد هي، وألفاظ (طائر) و(مسير) و(هاتف الجن) و(شرك) مع أن بين ميلاد تلك الألفاظ وقربياتها هذه مدة قد تزيد على خمسة عشر قرناً.

وكذلك عاشت كلمة (نتيجة) عند المناطق و (الجر) عند النحاة و (الوجد) عند الصوفية ولكنها لم تخف قرابتها من (نتجت الناقة) و (جر الفرس) و (وجد الشعراء) المعروفة في بيئة البادية. ذلك أن ألفاظ العربية تحافظ على أنسابها وتحفظ في مادة تركيبها بما يدل عليها، وهي الحروف الأصلية الثابتة وهي في غالب الأحوال ثلاثة.

٢. وتشترك الألفاظ المنتسبة إلى أصل واحد في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام كالطيران في طائر وطائرة والسير في سيارة وتسير والاشتراك في الشرك والاشتراكية، ويقابل هذا المعنى المتداول المتوارث المنقول من كلمة إلى كلمة من الكلمات المشتقة من أصل واحد مكارم العرب وخصالهم وصفاتهم المعنوية التي يتوارثونها جيلاً بعد جيل، فكما أن لكل قبيلة مكارم وخصالاً طيبة يجتمعون عليها ويتوارثها أبناؤهم، فلألفاظ المنتمية إلى أصل واحد كذلك معنى مشترك تلتقي عنده وتتوارثه جميع الألفاظ المتولدة عنه.

وليست وحدة الأصل والاشتراك في جزء من مادة التركيب وفي جزء من المعنى بمانعة من التنوع والكثرة، فإن الألفاظ المنتسبة إلى مادة واحدة أو أصل واحد تتكاثر وتتوالد وتختلف في أشكالها وصورها كما تختلف في معانيها المحدودة ودلالاتها الخاصة. فإن

لفظ عالم ومعلوم ومستعلم وعلامة وإن رجعت إلى مادة واحدة وأصل مشترك تلتقي عنده في وضوح واستعلان تختلف في صورها وأشكالها وطريقة بنائها بل في نغمتها ووزنها كما تختلف في المعنى الخاص الذي تتضمنه كل كلمة منها.^{١٤}

الشكل والهيئة أو البناء والصيغة

إن انتساب أفراد القبيلة العربية إلى أصل واحد وكذلك انتساب القبائل إلى أرومة واحدة لم يحل دون تنوع الأفراد في أشكالهم وصفاتهم ولم يمنع تشابه الملامح من تنوعها في الأفراد ولا الاشتراك في الخصال من تفاوتها فيهم. والارتباط بالأصل من جهة النسب والاشتراك في بعض ملامح الجسم وخصال النفس، لم يناف التكاثر والتوالد والارتباط بالفروع الآتية والأجيال المتوالية. وكذلك كانت لغة العرب فان ما وجدناه في ألفاظها من ترابط وانتماء إلى أصول مشتركة لم يمنعها من التوالد المستمر والتنوع الرائع والانتشار في آفاق الحياة للتعبير عنها انتشارا يشبه خروج العرب وانتشارهم في آفاق الأرض يؤدون فيها رسالة الحياة وأمانة الله.

إن طريقة اللغة العربية في هذا التوالد والتنوع تقوم على اتحاد قوالب للمعاني تصب فيها الألفاظ وهيكل تنبى على هيئتها مواد الكلمات فتختلف حينئذ في الوظيفة التي تؤديها. وعلى ذلك فان هذه الألفاظ: الناظر والمنظور والمنظر، والألفاظ: سلم واستسلم وسالم، والألفاظ: يعلم ونعلم وعالمات وعالمون، تختلف مفردات كل مجموعة منها في مدلولها مع اتفاقها في أصل المفهوم العام الذي هو النظر والسلم والعلم.

إن لكل قالب من هذه القوالب دلالة يدل عليها مهما كانت المادة التي توضع فيها، فالكلمات عالم وناظر وسالم فيها معنى الفاعلية، والألفاظ ممنوع ومقطوع ومقبول فيها معنى المفعولية، وتنافس وتعاون وتساند تتضمن معنى التعدد والاشتراك، والألفاظ قلامة وبراية ونحاتة ونفاية وثمالة تدل على البقايا، وبهذه الطريقة يبدو لنا في العربية تصنيف جديد للألفاظ لا على أساس مادتها بل أساس بنائها وهيئتها ونماذج أشكالها، فنضع على هذا الأساس مثل رافع وقائل وكاتب وسامع وأخذ في صنف واحد، ونضع مثل مستعلم ومستخرج ومستغفر ومستنفر ومستنصر في صنف واحد، ونجعل الألفاظ لباس وإناء وحزام ووعاء وبساط في

^{١٤} نفس المرجع، ٢٦٥-٢٦٧.

نسق واحد. ذلك أن ألفاظ كل مجموعة من هذه المجموعات وغيرها من أمثالها الأخرى على اختلاف أصولها تشترك في معنى الفاعلية في الأولى ومعنى الفاعلية من أفعال الطلب في الثانية ومعنى الآلية والارتفاق في الأخيرة.^{١٥}

الوظيفة المنطقية الأبنية

إن للأبنية والقوالب وظيفة فكرية منطقية، فقد اتخذ العرب في لغتهم للمعاني العامة أو المقولات المنطقية قوالب أو أبنية خاصة فجعلوا للفاعلية والمفعولية والمكان والزمان والسببية والحرفة والأصوات والمشاركة والآلة والتفضيل والحدث، ولمعان أخرى كثيرة صيغا خاصة وقوالب بحيث إذا بنيت أي مادة من مواد الألفاظ على تلك الهيئة وصيغت في ذلك القالب أدت ذلك المعنى متصلا بتلك المادة. فلو قلت (التزاور مدعاة للألفة) فالتزاور مؤلفة من مادة زوروقالب (التفاعل) الدال على المشاركة فأصبح المعنى زيارة الناس بعضهم بعضا، ولفظ مدعاة من مادة دع وقالب (مفعلة) الدال على تسبيب الشيء أو كثرته مثل مشغلة وملهاة فمعناها السبب الداعي إلى والألفة مصدر من ألف يدل على الفعل نفسه.

الوظيفة الفنية الأبنية

إن قوالب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزان موسيقية أي أن كل قالب من هذه القوالب وكل بناء من هذه الأبنية ذو نغمة موسيقية ثابتة، فالقالب الدال على الفاعلية من الأفعال الثلاثية مثلا هو دوما على وزن (فاعل)، وكل ما دل على المفعولية من استفعل فهو على وزن (مستفعل)، وكل ما دل على فاعل متعدد من العقلاء من صيغة افتعل مثلا فهو على وزن (مفتعلون)، وليست كذلك الصيغ في الفرنسية والانكليزية مثلا، فالدلالة على الفاعل تكون بإضافة صوت يلحق بآخر الفعل هو (ant) في الفرنسية و (er) بالانكليزية وعلى المفعولية بإضافة e أو i أو u في فرنسية بحسب الأحوال و ad بالانكليزية مع اختلال أصل الفعل أحيانا اختلالا لا ضابط له.^{١٦}

^{١٥} نفس المرجع، ٢٧٦-٢٧٨.

^{١٦} نفس المرجع، ٢٨٠-٢٨١.

إن جميع ألفاظ العربية ترجع إلى نماذج من الأوزان الموسيقية، والكلام العربي نثرا كان أم شعرا هو مجموع من الأوزان ولا يخرج عن أن يكون تركيبا معينا لنماذج موسيقية قد يكون في احتمالاته التركيبية التي لا حصر لها كثير من التوفيق في الجرس والنغمة والانسجام أو قليل منه، ولو أنك حاولت نقل أي كلام عربي أو صفحة من كتاب إلى رموز موسيقية وأوزان لوجدته يتركب من وحدات تتشابه وتختلف وتكرر وتتناظر، ويتألف من مجموعها قطعة موسيقية. وكثير ما استثمر الشعراء والكتاب العرب هذه الخاصة الموسيقية فقابلوا بين نغمة الكلام وموضوعه مقابلة لها أثرها من الوجهة الفنية، ولو أنك استمعت إلى النابغة في البيت التالي لشعرت أنه ينقلك إلى جوّ عاشق يهيم ويتأمل وتهفو نفسه برقة وحنان إلى آثار الحبيب بما فيه من نعومة الحروف وكثرة المدود وحسن توزعها وجمال تركيب الألفاظ وذلك في قوله:

ميلوا إلى الدار من ليلي نحييها # نعم ونسألها عن بعض أهلها^{١٧}

أثر أوزان الألفاظ في جمال الكتابة العربية

وذهب محمد المبارك إلى أن أوزان الألفاظ العربية أكسبت الكتابة العربية جمالا تزيينا خاصا، ذلك أن الألفاظ التي تكون على وزن واحد تتشابه أشكالها الكتابية ولا أقول تتماثل لاختلاف الحروف الأصلية، وذلك مثل (كاتب وقانع وشارب) ومثل (مكرمون ومقدمون ومطعمون)، فإذا ركبت هذه الكلمات في تراكيب كلامية كان منها ما يشبه الزخارف العربية، ففيها تماثل وتكرر وتشابه وتقارب ثم اختلاف وتنوع فتمتزج المتماثلات والمتشابهات والمختلفات امتزاجا يعطي صورة مرئية في الكتابة ورسم الألفاظ تشابه خصائصها خصائص الفن العربي في الغناء والرسم التزييني أو الزخارف.^{١٨}

^{١٧} نفس المرجع، ٢٨٢-٢٨٣.

^{١٨} نفس المرجع، ٢٨٤.

الصيغ بين الثبات والتطور

ولتأمل ناظر في لغة العرب وفحص هذه الأبنية والأوزان عبر العصور المتوالية لوجد أن الثبات غالب عليها، فصيغة الفاعل والمفعول من مختلف أوزان الأفعال وصيغ المكان والزمان والتفضيل لم تتبدل منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر، وليس من حاجة في الحقيقة إلى تبديلها لأن ما تدل عليه من معان كلية أو من قوالب فكرية كمعنى الفاعلية والمفعولية والمكانية ثابت لا يتغير والممكن حصوله هو أن تنشأ في ذهن الإنسان خلال تطوره الفكري والاجتماعي معان كلية جديدة تحتاج إلى قوالب أو صيغ جديدة. وقد حدث شيء من هذا في تاريخ العربية فقد استعمل في العصر العباسي ما سموه المصدر الصناعي كالإنسانية والحيوانية وإن كانت الصيغة التي استعملت ليست إلا صيغة النسب المعروفة مع تاء الاسمية التي تلحق بعض الصفات فتنقلها إلى الاسمية كالقافلة والسائمة، وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصفة لحاجتنا إليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجودية والاشتراكية كما استعملها مثل هذا الغرض أهل العصر العباسي ولا سيما الفلاسفة والمتكلمون.

توليد الكلمة وتكونها من مادة وصيغة

الكلمة العربية تتكون من مادة هي أصلها الذي ترجع إليه وتشترك فيه مع قريناتها الأخرى ومن هيئة تركيب أو صيغة أو بناء تركيب فيه مادتها، وهذه هي الطريقة التي تولد بها العربية ألفاظا جديدة لتفي بالحاجات الجديدة وتعبر عن المعاني المستحدثة، وهي الطريقة المسماة بالاشتقاق عن طريق العرب في اختيار المادة التي منها يشتقون اللفظ الجديد للمعنى الجديد. ووضع الألفاظ الجديدة عن طريق الاشتقاق هو السنة المتبعة والقاعدة الغالبة التي يتبعها العرب في لغتهم.

اللغة العربية والطبيعة

إن ما ذكرناه من خصائص الكلمة العربية في تركيبها ومادتها وفي بنائها وهيئتها يجعل بين اللغة العربية والطبيعة تشابها قويا، ففي الطبيعة أنواع من الأجسام مختلفة يرجع اختلافها إلى اختلاف تركيب مادتها التي تتكون منها، ومن هنا كذلك ينشأ ما بينها أحيانا من تشابه

لاشتراكها في بعض الأجزاء أو العناصر والذرات المكونة لها كالمعادن والنباتات والحيوانات بأنواعها وأجزائها. وهي على كثرتها ترجع إلى عناصر بسيطة محدودة العدد، وترجع هذه العناصر كذلك إلى وحدة يظهر اختلافها باختلاف تركيبها الذري. وكذلك اللغة العربية في اختلاف كلماتها التي تكاد لا تحصى، ورجوع هذه الكلمات إلى عناصر محدودة ثابتة هي الحروف التي باختلاف تركيبها تنشأ أجناس الكلم أو أصولها وموادها، وتختلف مفردات الأصل في العربية كما يختلف أفراد الجنس الواحد في الطبيعة.^{١٩}

بعد أن نظر الباحث الى البيان السابق فيقول: إن لكل كلمة جسما وروحا، فجسمها هو المادة الصوتية التي تتألف منها والشكل الذي تجعل فيه تلك المادة أو البناء الذي تبنى عليه، وروحها هو معناها وما تفيده وتدل عليه مادتها. ولكل كلمة مفردات من نوعها ومثيلات من نسبها تلتقي معها في مادتها ومعناها. وإن مفردات اللغة العربية تتكون من مجموعات كثيرة، وكل مجموعة منها ترجع إلى أصل واحد وتشترك في جزء من مادتها وجزء من معناها. أولا إنها تشترك في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها، وهي الحروف أو الأصوات الأصلية التي تحافظ عليها ولا تغيرها. ثانيا تشترك الألفاظ المنتسبة إلى أصل واحد في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام.

خلاصة

يتجلى لنا من هذه النظرة التي ألقيناها على بناء الكلمة في اللغة العربية والروابط التي تصل بين مفردات العربية ومن مقارنتها باللغات الأخرى أن اللغة العربية من هذه الناحية خصائص تمتاز بها من أبرزها وأجلها كما ذكرناها.

إن اللغة العربية أفضل اللغات وأوسعها، ومزاياها التي يراها السيوطي دليلا على أفضليتها هي كثرة المفردات والاتساع في الاستعارة والتمثيل، والتعويض، وفك الإدغام وتخفيف الكلمة بالحذف، وتركهم الجمع بين الساكنين، وإن للعرب ما ليس لغيرهم فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني.

إن مفردات اللغة العربية تتكون من مجموعات كثيرة، وكل مجموعة منها ترجع إلى أصل

^{١٩} نفس المرجع، ٢٨٨-٢٨٩.

واحد وتشارك في جزء من مادتها وجزء من معناها. أولاً إنها تشارك في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها، وهي الحروف أو الأصوات الأصلية التي تحافظ عليها ولا تغيرها. ثانياً تشارك الألفاظ المنتسبة إلى أصل واحد في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام.

إن أكبر المشكلات المثارة في العالم العربي والتي تعود إليها سائر المشكلات في ميدان اللغة هي مشكلة نهوض اللغة العربية وقدرتها على الوفاء بحاجات أهلها في هذه الحياة الجديدة سواء في ميدان العلوم أو الفنون أو الأدب بأغراضه وآفاقه الحديثة أو في ميدان الحياة العملية بما فيها من مستحدثات لا ينقطع سيلها. وإن الوعي اللغوي لابد من إنضاجه وتقويته ليشتد ويستحكم ويكمل، وليكون أوسع وأشمل لعدد من الناس، وليكون أرسخ وأعمق في النفوس.

المراجع العربية

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. القاهرة، دار الكتب المصرية، بلا تاريخ.
- تيمور، محمود. مشكلات اللغة العربية. بيروت، منشورات المكتبة العربية، بلا تاريخ.
- الخولي، محمد علي، الدكتور. ١٩٩٣. مدخل إلى علم اللغة. الأردن، دار الفلاح.
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. القاهرة، البابي الحلبي، بلا تاريخ.
- عبد العزيز، محمد حسن، الدكتور. ٢٠٠٠. مدخل إلى علم اللغة. القاهرة، دار الفكر العربي.
- العصيلي، عبد العزيز إبراهيم، الدكتور. ٢٠٠٨. من خصائص اللغة العربية. سعودية، كنوز اشبيليا، ١.
- فيشر، فولفد بيتريش، الدكتور. ٢٠١٠. ترجمة وتعليق: بحيرى، سعيد حسن، الدكتور.
- الأساس في فقه اللغة العربية. القاهرة، مؤسسة المختار، ٢.
- المبارك، محمد. فقه اللغة وخصائص العربية. بيروت، دار الفكر، بلا تاريخ.
- معروف، نايف محمود. ١٩٩١. خصائص العربية وطرائق تدريسها. لبنان، دار النفائس، ٤.
- النجار، شوقي، الدكتور. ١٩٨٤. مشكلات لغوية. جدة، تهامة، ١.